بعد زيارة مهمة وناجحة للعاصمة البريطانية ونشاط ثقافى وإنسانى كبير:

سـوزان مبـارك (١)

حلمى لحفيدى ولجيله هو كل ما نبنيه الآن على أرض مصر!

- بريطانيا كانت ساحة مثالية لإطلاق الجمعية المصرية/ البريطانية لإعانة الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، وقد نكرر التجربة فى دول أخرى تتوافر لها نفس الظروف ونفس الاستجابة..
- نحن نواجه عادات وتقاليد تعوق التنمية ولا نعرف ما إذا كان أصلها فرعونيا أو أجنبيا، أو ندرك من أين جاءت!
- أقبل النقد وأشجعه.. ولكن طبيعة نشاطاتى تمثل حالة يميل إليها أى إنسان ويرتبط بها!
- التعليم هو الطريق الذى ينبغى أن يناقش الشباب عبره حقوق الإنسان أو الختان.. ولا يجب أن نخفى رؤوسنا فى الرمال!
- مشروع إسكان المستقبل هو المجهود الأهلى الذى يكمل جهد الحكومة فى مشروع مبارك لإسكان الشباب!

- أملى أن نقضى على العشوائية وتعود مصر جميلة ونظيفة!
- الشخص الذى لا يخدم.. لا يجد من يعارضه!
- أيام حرب أكتوبر كنت أشعر بالمسئولية تجاه أسرتى الصغيرة، أما اليوم - بنفس العطاء والحب - أشعر بمسئولية عن أسرة مكونة من ٦٢ مليونًا من الناس!
- عندما يكون لديك انتماء لاتحتاج أن تتعلم العطاء!
- فكرت فى كتابة تجربتى الذاتية ولكن لم يكن لدى وقت!
- أتمنى وحدة المرأة العربية!
- إذا كنا نتكلم عن المؤسسات للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، فيجب أن نتكلم - كذلك - عن تدريب العاملين فى هذه المؤسسات.
- نعم.. نحن فى عالم رجال ولكن المرأة ليست مظلومة بشكل مطلق.

obeikandl.com

أدلت السيدة سوزان مبارك قرينة السيد رئيس الجمهورية بحوار شامل لى فى دار السفير المصرى بالعاصمة البريطانية.

وقد جاء هذا الحوار فى نهاية زيارة ناجحة ومهمة قامت بها السيدة الأولى إلى لندن، وشهدت نشاطا ثقافيا وإنسانيا كبيرا شمل محاضرتها فى قاعة لوكارنو التاريخية بوزارة الخارجية البريطانية؛ والحفل الخيرى الكبير مساء اليوم نفسه فى فندق دورشستر والذى أقامته الجمعية المصرية/ البريطانية والسفارة المصرية لجمع التبرعات للأطفال المصريين ذوى الاحتياجات الخاصة، وهو ما أعلن فيه قيام منظمة تحت القانون البريطانى لهذا الغرض.

وقد التقت السيدة الأولى الأميرة آن فى قصر باكنجهام، والسيدة شيرى بلير زوجة رئيس الوزراء، كما حضرت الأميرة ألكسندرا الحفل الخيرى فى فندق دورشستر.

كانت الزيارة تتويجا غير مسبوق للتقارب الكبير الذى شهدته العلاقات المصرية البريطانية فى الفترة الماضية، والذى انعكس فى أفواج المستثمرين البريطانيين التى جاءت إلى مصر فى زيارات رسمية وأهلية تعزز التجارة المشتركة، وكذلك الروح التى تبديها الدوائر البريطانية للتعاون فى مجالى العمل الإنسانى والاجتماعى فى مصر، باعتبار أن ذراعى التنمية فى مصر هما العمل الاقتصادى والعمل الاجتماعى.

وفى حديثها لى تناولت السيدة سوزان مبارك عددا كبيرا من القضايا ضمنها المنهج الذى يجب أن نواجه به تساؤلات الغرب عن قضايا، مثل: الختان أو

حقوق الإنسان، التغيير السلوكى اللازم لتحقيق التنمية الاجتماعية، قبولها وتشجيعها للنقد والرأى الآخر، المجهود الأهلى فى مشروع إسكان المستقبل، ضرورة تربية روح الانتماء والعطاء عند الشباب، خطتها للعمل إلى جوار الرئيس فى فترة رئاسة قادمة ـ وقتها ـ، فكرتها أن تكتب مذكراتها التى لم تجد ـ إلى الآن ـ وقتا لتنفيذها، رؤيتها للعالم اليوم كعالم رجال.. وأخيرا حلمها لحفيدها ولجيله.

وهنا نص الحوار:

- **كان إطلاق الجمعية المصرية/ البريطانية تحت القانون البريطانى لرعاية الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، ضمن نشاط ثقافى وإنسانى كبير لسيادتك فى لندن، عملا غير مسبوق، فهل سيصبح نموذجا يتكرر فى عواصم دولية أخرى؟**

○ هذه ـ بالفعل خطوة جديدة، وهى تدخل فى نطاق محاولاتنا المستمرة، لابتكار أساليب جديدة، تحقق تطوير عملنا الاجتماعى.

ولقد بدأنا ـ هنا ـ فى بريطانيا، لأنه مجتمع له تقاليد فى أعمال الخير، ووجود المنظمات الخيرية فيه قوى بالفعل.. ومن ثم فهو يشكل أرضية جيدة لهذه البداية.

فوق هذا، فإن العلاقات المصرية/ البريطانية، يسودها ـ الآن ـ قدر من الانسجام كبير، وقد رحبت الأوساط البريطانية الرسمية والأهلية، بالفكرة ترحيبا كبيرا، وبالذات مع ما تلحظونه جميعا من روح (الحنين) لكل ما هو مصرى، والموجودة لدى الإنجليز، بشكل شجعنا وحفزنا على طرح الفكرة.

هذه مجرد محاولة، وعندى أمل ـ إن شاء الله ـ أن تكون ناجحة، لأن هدفها نبيل جدا، وهو مساعدة الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة.. وأى إنسان سيجد عنده رغبة داخلية، بل احتياج داخلى لأن يدعم مثل هذا العمل.

لن نستعجل ونقول إننا سوف نعمم هذه التجربة فى العالم كله، ولكن ليس هناك مانع أن نكررها فى الدول التى نحس أنه ليس لديها مانع، أو لديها استجابة.. أو تتوافر فيها ظروف مثل تلك التى تحوط مناخ العلاقات الثنائية بين مصر وبريطانيا.

● **سيادتك أشرت عدة مرات فى محاضرتك عن التنمية الاجتماعية فى قاعة لوكارنو بوزارة الخارجية البريطانية، وكذلك فى المناقشة التى أعقبتها إلى ضرورة حدوث تغيير سلوكى يساعد جهد التنمية.. ولقد كان لانتمائك لصعيد مصر (مطاى/ المنيا) تأثير فى معرفتك لطبيعة القيم والتقاليد، ومن ثم محاولة تطويرها على أرضية من التفهم الشديد لهذه القيم.. هل تعتقدين أن الفهم الخاطئ للقيم الدينية والاجتماعية مازال يلعب دورا فى إعاقة هذا التصويب؟.. وهل تعتقدين ـ مثلا ـ أن عدم وصول المرأة المصرية لمنصب القضاء خلافا لما هو حادث فى أكثر من سبع دول عربية يعد انعكاسا لهذا الوضع؟**

○ من دون شك، ما ذكرت فى سؤالك يتصل بأفكار متوارثة جيل عن جيل، وهى لا تمت للدين بشىء، ولا تنبع من أية قاعدة دينية، ولكنها مجرد تقاليد وعادات تُتوارث، دون أن نعرف لها أصلا، ومن غير أن نعرف ما إذا كانت قيمية أو دينية أو فرعونية أو أجنبية، أو ندرك من أين جاءت!!

ولكن آن الآوان اليوم (مع كل البناء الكبير لقواعد الدولة الحديثة فى مصر، ومع كل ما يشهده العالم على أرضنا من تطورات تنتمى عضويا للمستقبل وآفاقه) أن نقف لنواجه السلبيات فى كل مفردات حياتنا، وأسلوبنا الذى نعيش به هذه الحياة، أو نفكر فيها، وفى عاداتنا المضرة، وفى ضرورة الاحتفاظ بعاداتنا الجيدة.

نقف وقفة علمية، ونختزل هذه السلبيات التى تؤثر فى سلوكياتنا وحياتنا

اليومية، لكن نضع مصر على الخط السليم فى كل الاتجاهات الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية، وأن نجعل مستوى التطور فى أى منها يلائم مستوى التطور فى بقيتها.

محظور!

- **سيادتك ذكرت حالا عبارة: (وضع مصر على الخط السليم) الذى ـ يتضمن فيما يتضمن ـ الاتصال بالجماعة الدولية، والحديث والمناقشة مع العالم.. وجزء من هذا المفهوم كان واردا فى محاضرتك فى وزارة الخارجية البريطانية، والتى لم تتجنبى فيها الإجابة عن أسئلة تتعلق بالختان، وبحقوق الإنسان.. ما هو النهج الذى تتصورى أن يتعامل به المصريون مع هذا النوع من القضايا؟**

○ التعليم هو الطريق لأن يفهم طلبتنا، ويدرك شبابنا معنى حقوق الإنسان، وهو أيضا الوسيلة لأن ندرس ونناقش العادات السائدة فى مصر، وخصوصا تلك التى نرى لها تأثيرا ضارا على صحة المرأة البدنية أو النفسية.

لابد أن نبدأ بالتعليم وبالتدريب. لن نحصل على النتائج بترسانات من القوانين، كما لن نحصل على شىء بالإجبار.

لابد أن يكون الفرد مقتنعا.. لابد أن يكون المجتمع مقتنعا بالتغيير الذى نطالب به.

لايوجد شىء محظور على المناقشة، وأسهل الأشياء أن يكون الإنسان سلبيا ولا يناقش، ويتذرع بأسباب غير موجودة، أو أن ينظر لمشكلة قائمة، على أنها أمر واقع.

لا يجب أن نخاف من شىء.

سنواجه أى سلبيات ـ نرى ضرورة مواجهتها ـ بالنقاش المفتوح، وبالتعليم، وبالتدريب.

● **الأسرة المصرية الجديدة الصغيرة، هى إحدى هموم السيدة سوزان مبارك ومن أجلها، كان مشروع إسكان المستقبل مكملا لمشروع مبارك لإسكان الشباب. هل يمكن اعتبار هذه النقلة تعبيرا عن اتساع مجال اهتمامك ليشمل الشباب بعد الطفولة؟**

○ الحقيقة.. هناك فارق، فمشروع مبارك لإسكان الشباب هو مشروع دولة، أو مشروع حكومة، وهى حكومة تعمل ـ بجد وبأقصى ما فى وسعها ـ على أن تقدم للشباب المصرى الذى يبدأ مستقبله الشقة الملائمة، التى يمكن أن يتحملها دخله الاقتصادى.

وإذا كانت الدولة، أو الحكومة تقوم بكل هذا الجهد، فقد آن الأوان (وأنا أعتبر نفسى ودورى جزءا من عمل الجهات الأهلية والقطاع الخاص) أن نعمل، ونقف إلى جوار الدولة، ونساند، وندعم عملها وحركتها.

وقد قلت مرارا: أن دخول القطاع الخاص لهذا العمل، وذلك على الرغم من عدم وجود عائد له، يعنى أنه ليس عملا خيريا، لأنه يساعد الدولة، ويتحمل نصف تكلفة الشقة للشخص الذى يسكنها، ومن ثم فهو عمل داعم لجهد الدولة بأكثر منه عمل خيرى.

لقد اخترنا مواقع مشروع إسكان المستقبل فى المدن الجديدة، كى نجعل من هذه المجتمعات كيانات متكاملة، تعيش فيها كل عناصر الخدمات التى تحتاجها هذه المجتمعات من مدرسين وأطباء وممرضات وغيرها.

ليس أمامنا غير أن نتحمل نصف تكلفة تمليك الوحدات، إلى أن يعود نظام الإيجار ـ يوما ـ لمصر.

هذا واحد من أكبر آمالى، وربما لا يفوقه سوى أن نقضى على الأحياء العشوائية، وننظف القاهرة، ونجمل بلدنا، لتعود كما نحبها.

مصر.. تستأهل كل خير!

إجمـــــاع!

● **قال المفكر الراحل لطفى الخولى ـ فى إحدى المناسبات ـ إن المصريين اختلفوا على كل شىء، ولكنهم أجمعوا على احترام شخصك، وتقدير جهودك، بمختلف طوائفهم السياسية، وانتماءاتهم الفكرية.. هل تتوخين ـ سيادتك ـ هذا الإجماع باستمرار، فى رؤية المثقفين لعملك ولدورك، أو تفضلين تعددية (الرأى) إذا جاز التعبير.. وتعددية (النقد) إذا جاز التعبير أيضا؟**

○ والله أنا أتقبل أى نقد فى أى وقت.

الإنسان يتعلم من النقد، وطالما أنه يسعى لأن يخدم، سيجد من ينقده، ومن يصوّبه، لأن الشخص الذى لا يخدم، لا أحد يعارضه، أو يوافقه، أو ـ حتى ـ يذكر سيرته!

أكرر.. كلما دخل أحدنا مجال الخدمة العامة، فهو لابد سيواجه النقد والاختلاف.. وأنا أسعى لنشر هذا المفهوم فى كل مكان أعمل فيه.

أعلم الشباب معنى الديمقراطية، معنى الرأى والرأى الآخر، وضرورة مساواة كل منهما فى الاحترام للرأى الذى يصدر عن أحدنا فى موقف، أو تجاه قضية.

الصدام، و«الخناق» لا ينفع.. الحوار والنقاش والاختلاف البناء هو ما ينفع البلد وينفع الناس.

لو أراد أى شخص أن ينقد أحد أعمالى، أو يختلف معى، فسأرحب بذلك تماما.. ولكن ـ إلى الآن والحمد لله ـ لم يختلف معى أحد.

● **وكيف ـ يافندم ـ يستطيع أى مواطن أن يجد قناة ينقل فيها إلى سيادتك اختلافه معك؟**

○ عبر القنوات الطبيعية التى تطرح فيها الأفكار فى المجتمع.

ومع ذلك دعنى أقول لك: إن طبيعة عملى ودورى تجعل من الصعب وجود اختلاف ـ بالمعنى الكبير ـ لأن العمل الذى أقوم به هو عمل لخدمة المحتاجين، ولخدمة مجالات الصحة، أو المرأة، أو الطفل، أو التعليم.

ما أحب أن أسمعه ـ فى هذا السياق ـ اقتراحات تعطينى أفكارا، أو تعطينى أساليب جديدة لتطوير العمل الاجتماعى فى مصر.. وأنا أرحب بهذا جدا.

● **مس حديث سيادتك عن ذكرياتك حول حرب أكتوبر مشاعر الناس بشكل غير مسبوق بسبب التلقائية العاطفية، والحس الوطنى الصادق، الذى تجلى فى كل كلمة فيه.. ولكننا ـ الآن ـ نخوض حرب تنمية متوازنة ومتواصلة، هل تشعرين أن دورك أو إحساسك قد اختلف فيها؟**

○ هذا سؤال ـ والله ـ يحتاج إلى بعض التفكير.

ففى أيام حرب أكتوبر، كنت مسئولة عن أسرتى الصغيرة، وكانت حياتى رهنا بأن أربى أولادى وأصون بيتى، وأحافظ على زوجى، وأساعده فى أن يتصدى لمهمته الكبيرة.

واليوم نفس الأحاسيس ـ بنفس روح العطاء والحب والانتماء ـ أشعر بها تجاه أسرتى الكبيرة المكونة من ٦٢ مليون مصرى!!

● **اسمحى لى ـ سيادتك ـ أن أعيدك إلى أسرتك الصغيرة مرة أخرى، وأسألك: ماذا تتمنين لحفيدك، أو لجيله؟**

○ حفيدى يحتاج إلى حوار لوحده!!

كل ما أستطيع أن أقوله لك فى سياق حديثنا: إن كل ما نبنيه ـ الآن ـ على أرض مصر، هو ما أحلم به لحفيدى ولجيله!!

نحن وضعنا لمصر فى العقد الأخير أساسا لكل شىء.

أساس لكى نبنى المستقبل.

نشيد المؤسسات، ونقويها.

نغرس المبادئ وندعمها.

نهتم ببناء تعليم قوى.. ثقافة قوية.

نبتكر ونخترع المفاهيم، ونلقن أولادنا أن يحبوا بلادهم.

أهم شىء أن يكون لدينا انتماء.

وعندما يكون لديك انتماء، فأنت لا تحتاج أن تتعلم العطاء.

وإن شاء الله نأمل أن نكون قد أسهمنا لأبنائنا وأحفادنا فى أن نجعل مصر أما للدنيا كما هى، وأحسن، وربنا يسترها معنا، ويسلم مصر!

وحـــدة!

● **من هم سيدات المنطقة العربية اللاتى ربطتك بهن صلات قوية؟ وهل يشتركن فى بعض الجهود الطوعية التى تقودينها، وخصوصا أنك شاركت فى أعمال المجلس العربى للطفولة لفترة؟**

○ عندما بدأنا العمل فى المجلس العربى للطفولة منذ عشر سنوات، كان الوضع مختلفا جدا بالنسبة للمرأة العربية.

كانت هناك دول ليس لها مشاركة على الإطلاق فى أعمالنا، وكانت هناك دول لم تدخل فيها المرأة مجال العمل الاجتماعى أساسا.

اليوم اختلف الوضع، ونرى ممثلات ممتازات لدول الخليج، وقيادات نسائية لجمعيات قوية تم تشكيلها.

أصبح للمرأة العربية صوت، وأصبح لها تواجد فى المحافل الدولية.

أنا أحلم بوحدة المرأة العربية!

مشاكل المرأة فى عالمنا العربى، بل ومشاكل المرأة فى العالم، كلها ـ تقريباً ـ واحدة، ولكن أسلوب معالجة هذه المشاكل هو الذى يختلف، باختلاف معطيات البيئة، أو عناصر الخصوصية الداخلية.

كلنا فى التنظيمات النسائية، أو فى المحافل الدولية نتجمع ـ فورا ـ تحت قبة واحدة، ونسير إلى الأمام.

● **السيدة سوزان مبارك، هل تعتقدين أن الوقت قد حان، لكى تكتبى تجربتك الذاتية، بما فيها من معاناة، وجهد، وإنجاز، لكى تكون تحت يد الأجيال الجديدة والمرأة العربية؟**

○ والله فكرت.. ولكن ليس عندى وقت.

● **ولا حتى بمساعدة فريق عمل؟**

○ لا.. لم يحن الوقت.. ليس عندى مساحة تسمح!

● **أسمع ـ كثيرا ـ من بعض من عملوا مع سيادتك أن عقلية السكولار (البحاثة) تحكم كل حركتك وأسلوبك فى العمل، ويستشهدون على ذلك، بالترتيب الفكرى لعدد كبير من محاضراتك فى المحافل الدولية والداخلية.. ووفقا لهذا المعنى، ما هى عناصر خطتك للعمل الاجتماعى والثقافى إلى جوار الرئيس فى فترة رئاسة مقبلة إن شاء الله؟**

○ إذا ربنا سهل، ستكون، إن شاء الله ـ تكملة لما قمنا به، وكما قلت فقد وضعنا الأساس لأشياء كثيرة، وبقى أن نواصل البناء ونتوسع ونحسن الخدمة، ونوصلها لعدد أكبر من أولادنا وشبابنا فى مجالات الثقافة والصحة والتعليم.

لابد أن نغير بعض المفاهيم فى إدارة المؤسسات المختصة بهذه الخدمات.

(الإدارة) و (التدريب) عنصران أساسيان فى نجاح جهود العمل الاجتماعى والخدمى.

إذا كنا نتكلم ـ مثلا ـ عن المؤسسات التى تخدم الأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة، فمازلنا محتاجين ـ فى مصر ـ كذلك ـ أن ندرب العاملين والأساتذة والمدرسين، الذين يتعاملون مع هذه الفئات.

الأساس موجود.

وعملنا فى المستقبل هو الاستمرار والتطوير والتجويد.

● **نجحت حملتك ـ إلى حد بعيد ـ فى مجال الصحة الوقائية (التطعيمات) حتى أصبحت مصر بلدا خاليا من شلل الأطفال.. لماذا لم يتحقق نفس النجاح على مستوى التعليم.. ظاهرة التسرب المدرسى قائمة.. كما أن نسبة الأمية لم تتناقص بالشكل المرجو رغم كل الجهود المبذولة فى هذا الاتجاه؟**

○ التعليم أصعب بكثير!

إذا كانت لدىَّ الإمكانيات أن أقوم بتطعيم مليون طفل، فسوف أطعمهم، ولكن لكى أعلم مليون طفل فالنتيجة لن تظهر فى يوم وليلة.

كل العمل الذى قمنا به فى مجال تطوير التعليم لن نحصد ثماره إلا بعد خمس سنوات.

وعلى الرغم من كل ما يقال عن أن جهود التعليم لم تثمر بعد، فإن هناك جهدا ضخما وطفرة رهيبة تحققت فى مجال التعليم.

● **هل تعتقدين أن عالمنا هو عالم رجال؟ وهل مثل هذه القناعة تؤكد أن المرأة مظلومة فى الشرق الأوسط وفى مصر؟**

○ هو عالم رجال بلا شك.. ولكن المرأة ليست مظلومة بشكل مطلق، فقد أخذت حقوقها فى بعض الحالات، ومازالت مظلومة فى بعض الحالات!

● **مثل ماذا يافندم؟**

○ انظر إلى القوانين فى مصر، ستجد أن المرأة المصرية حصلت على حقوقها فى القوانين، ولا توجد أية مشكلة، وتوجد مساواة حقيقية.

أما الذين يتذرعون بالإسلام كى لا تحصل المرأة على حقوقها مخطئون، فلو فهمنا صحيح الدين، سنجد أنه أعطى المرأة حقوقها، وأشاع الحب والتسامح، وأقر رعاية الزوجة.

ومن هنا، فإن الممارسة تختلف عن الوضع الشرعى أو القانونى، وهى ترجع إلى العادات الخاطئة والموروثات الدخيلة علينا.. وهى الأشياء التى يجب أن نقف أمامها، ونفض اشتباكها مع المجتمع، ونمشى فى طريق التنمية الاجتماعية وحقوق المرأة بشكل سلس لا عوائق فيه.

● هل تعتقدين أن وضعك كزوجة لزعيم وقائد أثر فى اهتماماتك بالمشاكل الدولية والسياسة العالمية، أم أنك تؤمنين بشريحة محددة من العمل الاجتماعى فقط؟

○ لا يوجد ـ اليوم ـ شىء اسمه سياسة بمفردها، أو اقتصاد واجتماع بمفردهما.

اليوم توجد تنمية مجتمع، وهى تشمل: الصحة والتعليم والثقافة والبيئة.

وبدون أمن فى الداخل، وسلام فى الشرق الأوسط، وبدون ديمقراطية وحرية وحقوق إنسان لن ننجز شيئا.

هذه هى المفاهيم التى تسود حركة الفكر العالمى والنقاش الدولى.. ولو لم يكن كل هذا موجودا فى مصر، لم يكن باستطاعتنا أن نعدد أمام الناس ما فعلناه بفرح فخور.

مقومات التنمية ـ بمعناها الشامل ـ مرتبطة بالسياسة الداخلية والسياسة الخارجية، ولو لم نكن قد استوفينا شروط هذه التنمية الشاملة، ما كان أحد فى العالم قد ساعدنا، ولا كانت مصر ـ اليوم ـ على الخريطة الدولية.

اليوم ـ ولله الحمد ـ نظرة العالم لنا كبيرة جدا.

والرئيس ـ لتوه ـ قد عاد من ألمانيا وإيطاليا، وأى شىء نطلبه من هذه الدول كمساعدة، يصادف تلبية فورية، سواء كانت مساعدة فنية أو غيرها..

الجميع يعلمون مكانة مصر، ويعرفون بالإنجاز الذى حققته، ويعرفون أنها قوية.. وآمنة، وهو الأمر الذى يعود أثره ليس عليها فقط، ولكن على الأمة العربية، وعلى المنطقة كلها، وعلى السلام والأمن الدوليين.

- ١٩٩٩ -

❑ ❑ ❑

obeikandl.com